الزمن في شعر أبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري القيرواني(ت488هـ)

بشار نديم أحمد *

تأريخ التقديم: 2014/2/9 تأريخ القبول: 2014/4/2

المستخلص:

الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يعي الزمن بأبعاده الثلاثة، فهو يتفاعل مع الزمن الماضي، وله قدرة التأثير على الحاضر، وهو الوحيد القادر على تصور المستقبل وصنعه، لامتلاكه قدرة الخيال والتخييل، لذا فهو يستوعب الزمن بأبعاده الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل .

والزمن المعني في البحث ليس الزمن الطبيعي الذي يخضع لمقاييس موضوعية تُقاس بالسنة والشهر واليوم والصباح والظهيرة والمساء والليل والنهار، بل هو زمن نفسي، ولايمكن معرفته أوتحديد سرعته أو بطئه من خلال اللغة التي تعبر عن الحياة الداخلية للشخصية [1] .

لقد ظلَّ الإنسان ولاسيَّما الشاعر ينظر إلى الزمن ومفرداته كونه قوة غيبية قهرية متسلطة لاتُقاوم، لينسب إليها كل ما يلم به من مصائب ونوائب وقد نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن سبِّ الدهر فقال :(يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدهر، بِيَدِي الْأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)[2] ليزيل النظرة السلبية

---

* مدرس / الكلية التقنية/ الموصل .

(1) ينظر: الزمن في قصص علي الفهادي،دراسة تحليلية، د.نبهان حسون السعدون، مجلة دراسات موصلية، ع28 صفر1431هـ،19 .

(2) حديث صحيح رواه الإمام البخاري، ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت852هـ) باب لاتسبوا الدَّهر، قام بخراجه وتصحيحه وأشرف على طبعه : محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1379هـ، 564/10 .

التشاؤمية نحوه ، لكنَّ الشاعر العربي بقي ينظر إلى الزمن نظرة خائفة ولاسيَّما إذا تناوشته مصائبه ، وتناوشته صروف الأيام والليالي بالمحن والمتاعب.

الكلمات المفتاحية : الموت؛ الغربة؛ الشاعرية

توطئة

والنظرة السلبية نحو الزمن بتنوعاته واشتقاقاته كلها تتأتى من إحساس يغمر الانسان بعجزه واستسلامه وعدم قدرته على التأثير الإيجابي في الحياة، فالكثير من الشعراء اكتنفت حياتهم المصائب، وأحاطت بأيامهم أشكال الإنقلابات والتغيرات المفاجئة التي حوَّلت صفو حياتهم إلى كدر العيش.

وقد تتشكل الرؤية السوداوية المتشائمة نحو الزمن من إحساس الشاعر ـــــــ وهو من أشد الناس رقةً وإحساساً ـــ بالتمايز، وأنه يُعاني من اضطهاد مجتمعي ، وأنه لم ينل ما يستحقه من التكريم، فهو كونه شاعراً يستوجب أنْ يكون مُقدماً ومُبرَّزاً وأنَّ المجتمع وسلطاته المؤسسية يجب أنْ تُكرمه وتمنحه كلَّ أسباب الرفاهية والتبجيل المادية والمعنوية، وقد لا تتأتى هذه الظروف لكلِّ الشعراء فيُواجَه الشاعر بالجفاء والتهميش، عندها تتجهم نفسية الشاعر، وتعاني مشاعره الإضطراب، فيتجه الشاعر إلى ذمِّ الزمان وهو في الحقيقة يذمُّ المجتمع ومؤسساته السياسية والدينية والاقتصادية و(أنْ تكون شاعراً معناه مضاعفة الجدلية الزمنية، معناه رفض التواصل السهل للإحساس والاستنتاج، معناه رفض الراحة الانهدامية لتقبل الراحة المتموجة، الحياة النفسة المتموجة)[1] والحياة المتموجة تعني علاقة متوترة وشائكة مع الزمن.

وقد تُخفي انفعالات الشاعر السلبية نحو الزمن نوعاً من النقد الضمني المتخفي لحالة سلبية طاغية في المجتمع.

وقد أدرك الباحثون مدى التواشج بين الحالة النفسية والزمن (فالزمن مثلا يكون طويلاً وقاسياً حين تكون الشخصية حزينة ولا تشعر بمرور الزمن حين تكون

(1) جدلية الزمن، غاستون بلاشار، ترجمة : خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ، 1992 150.

سعيدة) [1]. أي أنَّ البعد الزمني مرتبط بالحالة النفسية لشخصية المبدع وفي ذلك يقول الشاعر الأندلسي ابن الجزَّار السرقسطي:

تُقاسي ساعةً فيها كيوم ومن طول السُّرى شهراً كعام[2]

كما أنَّ العلاقة التواشجية بين الزمان والمكان يمكن تفسيرها بقدرة البيئة الإنسانية على إحداث الفعل والتأثير في إحساس الشاعر بالزمن في عمل إبداعي يُجسد الحياة، ويكون متواصلاً مع إيقاع الحياة التي تُعدُّ زماناً مستمراً مُجسداً بمكان، صار للشاعر زمنه الخاص الذي يُعبِّر عنه إبداعاً وهذا الزمن تشَكَّل نتيجةً للهُوة الحاصلة بين الزمنين الموضوعي والنفسي، فالزمن الشعري هو الزمن الإبداعي الذي يخلقه التوتر الحاد بين زمن الذات والزمن الموضوعي .

زمن الحصري القيرواني:

لقد بقي الشاعر العربي الأندلسي يعاني وطأة الزمن ، ويستشعر سطوته، فالزمنُ قادرٌ على الفعل والتأثير في حياة الإنسان لكنَّ الإنسان يبقى يحس بعجزه أمام حركية الزمن وطاقته الجبارة على إحداث التأثير في حياته، وهنا يُشكل الزمن بؤرة الأزمة الإنسانية العميقة، كما رأينا عند أبي الحسن الحصري القيرواني [3] الذي ظلَّ الزمن يتربص به، مما جعله يشعر بقسوة الزمن عليه ، فحاول عبر انتقاله في الأزمنة والأمكنة التعايش والتواصل مع الحياة ، لكنه كان يصطدم دوما بقسوة

(1) م. ن .19 .

(2) روضة المحاسن وعمدة المُحاسن ، ديوان أبي بكر يحيى بن محمد المعروف بابن الجزار السرقسطي، تحقيق ودراسة واستدراك الاستاذ الدكتور منجد مصطفى بهجت، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن 2008، 138 .

(3) هو أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري الحصري القيرواني ولد في القيروان ودخل الأندلس سنة 450هـ توفي سنة 488 هـ ،ينظر في حياته: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابو الحسن علي بن بسَّام الشنتريني، تحقيق : إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي،2004م،170/4، وأيضا : أبو الحسن الحصري القيرواني عصره ــ حياته ــ رسائله ــ ديوان المتفرقات ــ ياليل الصبَّ ــ ديوان المعشرات ــ إقتراح القريح ، محمد المرزوقي، والجيلاني بن الحاج يحيى، مكتبة المنار، تونس، 1963.

الحياة، لذا تنوعت أشكال التعبير عن الزمن في شعره، فالقليل من شعره يُشعِر المُتلقي بتواصله مع الزمن، إذ صار إيقاع الزمن إيجابياً مُلبياً لتطلعات الشاعر وطموحاته.

لكنَّ أكثر شعر الحصري القيرواني يدور في فلك المواجهة اليائسة مع الزمن، فهو بضعفه الطبيعي وبما أصابه من نكبات متلاحقة :سقوط القيروان، غربته، سقوط دولة آل عباد الذين احتضنوه ولا سيَّما المعتمد بن عباد الذي أكرم وفادته إلى الأندلس ، ثم نكبته بوفاة ولده عبد الغني الذي كان يجد فيه سلواناً لما فقده في الدنيا.

إنَّ حيرة الحصري إزاء الزمن أدَّت به إلى تَشَكُّلٍ نفسي صعب ومعقَّد، فهو يبدو تارةً متواصلاً مع الزمن بتجلياته المكانية والنفسية والاجتماعية، ونراه تارةً أُخرى يعيش انقطاعاً مع الزمن، لذا تشكَّلت أمام المتلقي صورة متناقضة للحصري، فهو يبدو في بعضٍ من أشعاره المُحب المتيم الذي يذوب شوقاً وصبابة في محبوبه، وفي أشعار له أُخر نجده متشائماً كئيباً يذمُّ الدهر ويتحول إلى زاهد (والحال هو على الدوام كذلك، فكلُّ زمانٍ حقيقي هو في جوهره متعدد الأشكال،وإنَّ الفعل الحقيقي للزمن يتطلب غنى التطابقات) [1] . ويدرك الإنسان أنَّ عليه أنْ يتوافق مع هذا الإيقاع المتناوب للزمن، وأنَّ عليه أن يتعايش مع الزمن بتقلباته وايقاعاته المتناقضة وكما قال غاستون بلاشار:(إننا لن نكون كائنات مكونة بشدة وقوة، تعيش في راحة مضمونة تماماً مالم نعرف كيف نعيش وفقاً لإيقاعنا الذاتي) [2] .

كان مفهوم الزمن موضع لبْس واختلاف بين المفكرين، القدامى منهم والمحدثون ، لكنهم ربطوا – بشكل أو بآخر– بينه وبين الحركة والتغير في الأشياء، فبدون حركة وتغير لا يوجد زمان ، والزمان يعتمد على هذه الحركة وهذا التغير(والفرق بين الشاعر المبدع والشاعر المتخلف يكمن في موقفهما ازاء الزمن، وصدور ردود افعال عندهما عن أفعال حقيقية او مفتعلة)[3].

---

(1) جدلية الزمن، ، 11 .

(2) م.ن ، 11 .

(3) الزمن والشعر ، جلال خياط، منشورات وزارة الاعلام العراقية ، سلسلة الكتب الحديثة (88) ، 1975، 9 .

وارتبط مفهوم الزمن في تصور الإنسان منذ مراحل الحياة الإنسانية الأولى بعالم المتغيرات الذي يحوطه ويعايشه، فكلُّ ما حوله في تغير مستمر، ومنذ لحظة وجود الإنسان على الأرض مع لحظة السقوط والخروج من الجنة ما زال في حيرة من تقييم وجوده الآني، ودهشته إزاء المتغيرات التي تحيطه وتشمل كيانه، وسعي إلى محاولة معرفة سر هذا التغير، وفي محاولته المستمرة للكشف عن المجهول والقوى التي اهتدى إليها بحدسه الفطري كعلة لهذا التغير ثارت في نفسه دوافع القلق من واقعه والخوف من مصيره.[1]

وفي أمر نادر في تاريخ الأدب العربي نجد الحصري القيرواني يخصص ديواناً كاملا لرثاء ابنه، وهذا يُشعرنا بمدى حبه لولده، وهذا الحبُّ سبب من الأسباب التي جعلته يتواصل مع الزمن ويشعر به شعورا غامراً، فوجد في الشعر وسيلة للتنفيس عن انفعالاته (لا بدَّ من شفاء النفس المعذَّبة – وبخاصة النفس التي تشكو من الزمن، من السأم– بواسطة حياة موزونة ايقاعية)[2] فكانت نكبته بفقده نكبةَ انتكاسةٍ لما حاول أنْ يتناساه من عظيم النكبات و(إنَّ الشعور بالزمان يبلغ أقصى درجة من السعة في ساعة الحب، وإنَّ الشعور بالزمان هو في الوقت نفسه شعور بالفناء ، ذلك لأنَّ الزمان جوهره الفناء)[3]

إنَّ المتأمل في إيقاع الزمن عند القيرواني يجده زمناً كثيفاً عصياً، لكنه يدرك أنَّ هذا الزمن حتى في حالات سلبه إنما هو زمن لا يكفُّ عن التوهج بإبداعه، هذا الإبداع تنهض به لغة مقتدرة واعية بأدواتها المعرفية وبأسرارها الجمالية وبروح فنها الرفيع. وهكذا كان هذا الإيقاع الزمني بتنوعه وتناقضه دافعاً رئيساً من دوافع تشكل العملية الإبداعية لدى الحصري، وصار هذا الايقاع الزماني علامة للإبداع فـــ (لا مجال للدهشة من إمكان إيجاد علاماتٍ لنتمثل الزمان، إذا جعلناه العامل الوحيد

(1) ينظر: أسماء الزمن في القرآن الكريم (دراسة دلالية) رسالة ماجستير من اعداد : محمود يوسف عبد القادر عوض قسم اللغة العربية ،كلية الدراسات العليا،جامعة النجاح الوطنية ،نابلس، فلسطين.2009، 13 .

(2) جدلية الزمن، 10 .

(3) الموت والعبقرية ، عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، 1945، 35 .

للترابطات في المجالات البالغة التنوُّع : الحياة ، الموسيقى، الفكر، المشاعر، التاريخ، وحين نركب كل هذه الصور الفارغة تقريباً ، البيضاء تقريباً ، نظن أننا استطعنا ملامية جوهر الزمان، حقيقة الزمان) [1] . وبذلك يسعى الشاعر في عمله الشعري الى تخليد الزمن.

ومشكلة الحصري القيرواني مع الزمن لم تكن مشكلة النكبات فحسب، فهوكان يشعر أنه قد غُبن، ولم ينل ما يستحقه من التكريم،فقد كان رجلاً طموحاً، لكنَّ طموحاته كانت تصطدم بالعقبات الواحدة تلو الأخرى، فكان فقده لبصره عقبة من هذه العقبات، فحاول أنْ يُعوض عن ذلك بانغماسه في دراسة اللغة والأدب والعلوم الإسلامية. وظلّت نفسه طامحة إلى المعالي ظناً أنَّ مواهبه تعوضه عن عجزه فمضى في اندفاعة الشباب، يُبهر أهل بلدته بنادر ذكائه وسعة علمه ومواتاة شاعريته، وأسرف في أخذ نفسه بالتفتح للدنيا والإقبال على الحياة، مع الولع بالعلم والجِد في طلبه . فها هو يطلب أعلى المراتب،

إنَّ الشاعر الذي يعيش في مجتمع تسود فيه الصراعات وتكتنفه المصائب والفتن يبقى أسير هذا المجتمع(والشاعر الذي يسعى لتحقيق آماله وطموحاته، ثم يصطدم بعدم توافق مطامح ذاته مع ظروف مجتمعه وبيئته يشعر بانفلات الزمن من بين يديه، ويعيش معذباَ مهموماً، ويُصيبه الضنى والإعياء، ومن هنا يُذكر الموت والفناء من الشعراء على سبيل المثال من أحسَّ بالظلم وعدم الاتساق بين ذاته والواقع الذي يعيش فيه فعبر عنه بشكل حكمي)[2] حاول أنْ يكون – بهمته العظيمة – طالباً للمجد فإنْ فاته مجد السيف، فلم يفته مجد العلم والأدب الذي حاول أنْ يبدع فيه تعويضاً عما لم يستطعه.

أشكال الزمن وتنوعاته اللغوية عند الحصري :

الدهر:

---

10) جدلية الزمن ، 130 .

(2) الموت في الشعر العباسي(232هـ *450هـ) حنان أحمد الجمل ، رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين ، كلية الدراسات العليا ،2003م، 21 .

تنوعت الأشكال اللغوية التي عبَّر بها الحصري القيرواني عن الزمن، ويُظهر السياق الدلالة التي تُشير إليها المفردات.والسياق يعني: تعاقب سلسلةٍ من الظاهرات في وحدةٍ ونظامٍ كتعاقب الظاهرات الفسيولوجية والسيكولوجية[1] فالإنسان هو الذي يمنح المفردات دلالاتها باستعماله المفردة ضمن سياقات نفسية وثقافية خاصة، وأصحاب المعاجم برَّزوا وجهات نظرهم عندما تحدثوا عن الزمن [2].

وأول ما يرد في شعرالحصري من المفردات الدالة على الزمن لفظة الدهر، والدهر هو: (الأمد الممدود ، وقيل : الدهر ألف سنة ، وجمع الدهر أدهر ودُهور ، وقال شمِرٌ : الزمان والدهر واحد. وقيل : الدهر الزمان قَلّ أو كثر، وقيل : الدهر هو الزمان الطويل ،)[3] **والدهر عند المفسرين (السنون والأيام ، وكان العرب في الجاهلية ينسبون المصائب التي تحل بهم إلى الدهر، فيسبونه فقيل لهم على ذلك : لا تسبوا الدهر فإنَّ الله هو الدهر، أي أنَّ الله هو الفاعل لهذه الأمور التي تضيفونها إلى الدهر)** [4] **والمراد بالدهر عند الشعراء كما يظهر هو مرور الأيام، فهي سبب للأحداث وليست الفاعلة لها. وهناك من فرَّق بين الزمن والدهر، وذكر أنَّ الزمن مدة الأشياء المتحركة، والدهر: مدة الأشياء الساكنة. ويقال: الزمن مدة الأشياء المحسوسة، والدهر: مدة الأشياء المعقولة[5]، لكنَّ الغالب في اللغة العربية استعمالهما بمعنىً واحد.**

ويشيع في قصائد الحصري كثيراً تهجمه على الدهر واتهامه بأنه سبب النكبات التي حلَّت به، فهو يسير على نهج من سبقه من شعراء العربية الذين كانوا يصبون على

---

(1) ينظر: السياق والأنساق(السياق؟ ماالنسق) ، محمد عبد الكريم الحميدي، دار النفائس، بيروت، لبنان،1434هـ ، 2013م ،25 .

(2) ينظر: الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، 61 .

(3) تاج العروس من جواهر القاموس ، المرتضى الزبيدي، تحقيق: عبد الستار فراج وآخرين، ط 1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت)،مادة "دهر" .

(4) تفسير القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد القرطبي، ط 2 ، ج 16 ، 171.

(5) ينظر: الفروق في اللغة، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري ت395هـ، منشورات دار الآفاق الجديدة،، بيروت، 1973، 263-264 .

الدهر كل المعايب، (وليس هذا فحسب بل إنَّ العرب أطلقوا على المصائب نعت"بنات الدهر" وكأنَّ الدهر هو الذي يأتي بها) [1] فالمتنبي في قصيدته المشهورة "وصف الحمى" لم يغفل نعت الحمى التي أقضَّت مضجعه بهذا النعت فخاطبها قائلا:

أَبِنْتَ الدَّهْرِ عندي كلُّ بنتٍ فكيف وصلتِ أنتِ من الزَّحام؟[2]

وقد عبَّر القيرواني عن ذمه للدهر عبر محاور عدة، وحمَّله وزر كل ما رُزء به ، فالدهر يبقى عدواً يُطلُّ برأسه كلما نُكب، وهو أمر تقليدي معهود عند شعراء العربية الذين جعلوا الدهر عدواً مُجسَّداً، وكانت لوفاة ابنه الوحيد عبد الغني الأثر الأكبر في هذه السلبية تجاه الدهر، فقد كان الحصري يأمل من ابنه الذي تعب في تربيته وإعداده أنْ يكون مُعيناً له في كبره، لكنه فُجِع بوفاته، عندها أحسَّ الحصري بأنه يقف وحيداً أمام الزمن وتقلباته ، يقول في نونيته التي رثى بها ابنه :

سَلُوا الدَّهرَ هل أخْبى غداةَ وَفاتِهِ سنا المشترى أم هدَّ ركنَ أَبَانِ؟
كأنَّ ذِراعي جُذَّ من عضدي به كأنَّ حُسامي فُلَّ وهو لساني
فمنْ لبني الدُّنيا مَقولي إذا نبا بحكمةِ أشعاري وسحرِ بياني؟
بعبد الغنيِّ استغنتِ العينُ أنْ تَرى مَحاسن طُرزٍ في الرِّياضِ حسانِ[3]

ويصور الحصري إساءة الدَّهر له بتجديد الجراح عليه فيقول:

لا جَلا أَحزاني الجَلَدُ لا خَلَا من ذِكركَ الخَلَدُ
لا هَنَى عَينيَّ نومُهُما وهَنَاكَ الحُزْنُ والخُلُدُ
باتَ صحبي يسهرون ولمْ يَجِدُوا الوَجدَ الذي أَجدُ
وأنا أَسْهَرتُ أَعيُنُهُم إنَّ دمعي لو رَقا رَقَدُوا
قلتُ إذ قالوا: تعزَّ أما للبُكا من بعدهِ أَمَدُ
مدَّ دمعي فيه بحرُ دمي فأبى أنْ ينفدَ الأبَدُ
أنا أبكي والغليلُ كما كان في الأحشاءِ والكَمَدُ

(1) أسماء الزمن في القرآن الكريم ، دراسة دلالية،27 .

(2) شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي،بيروت لبنان 1979 م. 3 /277.

(3) أبو الحسن الحصري القيرواني، 375 .

كُلَّما رُمتُ الأسَى نَكَأ الــ قَرح دَهرٌ دَأبُهُ النَكَدُ[1]

يستهل الحصري بـــ (كلما) التي تفيد التجدد والاستمرار، فكلما طلب الشاعر العزاء والسلوان في نسيان مصيبته أساء له الدهر الذي عادته إدخال الكدر والحزن على الإنسان، وقد رسم الشاعر لذلك صورة حسية وهي عودة الجرح إلى التقشر قبل تمام التئامه. والشاعر مشغول بإزالة الجرح وذهابه عن نفسه، وليس اهتمامه بفاعل القرح؛ لأنَّ القرح قد وقع والمهم إزالته؛ لذلك قدَّم المفعول (القرح) على الفاعل (دهر)، وقد نكَّر الشاعر كلمة(دهر) لاستجهاله له، بينما عرَّف (الأسى–القرح) لشوقه في الحصول على الأول، ورغبته إلى زوال الثاني[2].

ويتعجب الحصري من سطوة الدهر عليه وتحكمه به، ويقدم صورة من صورة الحيوان فيقول:

عَجَباً لي أَجُرُّ في الدَّهرِ ذيلي وَأنَا في يَدَيــــهِ رَهــنٌ وَمِلكُ
فَكَأَنّي صَعبٌ مِنَ الخَيلِ يَختـ ـالُ وَفي الأرَبعِ الرَّواكِضِ شَرَكُ
مرَّ عيدي فما سفحتُ دماً إلا لّا من العين والمعيشة ضنكُ [3]

وعلى الرغم من الحضور القوي لذات الشاعر (لي–ذيلي–وأنا–فكأني) فهو يشعر بأنه محاصر مقيد، ولذلك عبَّر بـــ (رهن) و(وملك)، فكأنَّ حضور ذاته القوي لم ينفع شيئاً مع ذلك الرهن والعبودية، وذلك ما دفعه إلى أنْ يتعجب في بداية البيت عجباً لا انتهاء له، وليعبر عن سيطرة الدهر عليه قدَّم الجملة المعترضة (في يديه)، وقد أتى بها مثناة ليشير إلى تحكم الدهر به وسيطرته عليه، وليدلل الشاعر على إحاطة الدهر به، وأنَّ كل ما يفعله يكون ضمن دائرة ما يريده الدهر[4].

ويصور الحصري الدَّهر محارباً له في ابنه، لم يدخر جهداً في أخذه منه يقول:

---

(1) أبو الحسن الحصري القيرواني ، 308 .

(2) ينظر: شعر التعازي والقبور في الأندلس المحاور والسمات الفنية ،اطروحة دكتوراه تقدم بها: أنور يعقوب زمان إلى قسم الدراسات العليا ، كلية اللغة العربية ، جامعة ام الرى ، المملكة العربية السعودية ، 1432هـ، 164 .

(3)أبو الحسن الحصري القيرواني ،351.

(4 9 ينظر: شعر التعازي والقبور في الأندلس المحاور والسمات الفنية،174 .

حارَبَني الدَهرُ فيكَ حَرباً لَم يَقِها الدِرعُ وَالسِلاح [1]

ويُظهر الحصري تضجره من الدهر، لا بسبب نكباته فحسب، بل لأنه ظالم في حكمه، **يقول:**

أفٍّ لِلدَهرِ فَما أجَـــــــــــ ورَهُ حُكماً وَألَوى [2]

ويعلل الحصري نفسه بأنّ الدهر أصاب القوم جُلّهم بنكباته فلم يكن هو بدعاً بينهم، وفي ذكره لذلك يُقدم لنفسه تعزيةً وتسليةً تدلُّ على صبره وجَلده في مقارعة الدهر ونكباته، يقول:

أفاضِلُ هذا الدَهر تَشكو صُروفَهُ وَما كُنتُ فيهِ مِن أفَاضِلِهِ بِدعا [3]

وهذه الصورة ترد كذلك في قصيدة أخرى له يقول:

هو الدهرُ يُبكي إذا أضحكا فمالك تضحكُ ممن بكى

أيشتمك اليوم شكوى امريء لعلك تشكو غداً ما شكا

رأيتُ العدا هلكوا فاكترثـــــــــــ تُ وقلتُ كذا أراد المهلكا

وما سرَّني العيش بعد العدا إذ الموتُ من فاته أدركا[4]

وتستمر شكوى الحصري من الدهر وتتابع نكباته، والدهر لم يكتفِ بما أصابه بل هو راغب في أنْ يعطيه المزيد، قال:

عِندي مِنَ الدَهرِ ما كَفاني وَما أرَى صَرفَهُ قَنوعا [5]

يخص الشاعر نفسه بأنَّ الدهر اختاره وبالغ في الإساءة إليه حتى اكتفى، ولذلك بدأ بالظرف (عندي)، وأكد ذلك بإضافته إلى ياء المتكلم، ولم يذكر الشاعر ما الشيء الذي جعله في غنىً عن الزيادة إشارة إلى كثرة النكبات التي حلَّت به، وعلى الرغم من ذلك فإنه يشعر أنَّ هذه المصيبة التي حلَّت به ليست الأخيرة، فالليالي حبلى بالنكبات؛ لأنَّ الدهر لاتُرضيه هذه المصائب التي حلَّت بالشاعر بل يراها قليلة ويريد

---

(1) أبو الحسن الحصري القيرواني،462.

(2) م.ن، 439 . وألوى : من لواه بحقه أي جحده اياه (م.ن 439)

(3) أبو الحسن الحصري القيرواني، 399 .

(4) م.ن ، 353-354.

(5) م.ن ، 479.

له المزيد، وفي البيت تركيز كبير من الشاعر على ذاته (عندي–كفاني–أرى)، فقد ملَّ مما خصه به الدهر من مزيد نكبات.

وبعد هذه الشكوى المريرة والمواجهة مع الدهر الذي حوَّله الشاعر الى غول عظيم يفتك به ويعاديه ، نجده يعلن صفحه عن إساءاته التي أصابه بها فيقول :

وَأصفَحَ عن دَهري عَلى أَنَّ صَرفَهُ رَزاني بِفَقدِ اِبنٍ وَغَدرِ رَزانِ[1]

المعهود أنْ يكون الصفح من القوي باتجاه الضعيف فهو الأحوج إلى الصفح، لكنَّ الشاعر هنا يعلن يأسه واستسلامه للقدر الذي يسير به من نكبة إلى أخرى. يرسم الشاعر صورةً لنفسه المتعالية التي تتحمل المصائب والنكبات، فهو على الرغم من إساءة الدهر إليه يعرض عنه، لذلك استخدم الشاعر (أصفح) التي تفيد الإعراض، وليس العفو عنه ، فهو هنا يرى نفسه أنه في المكان الأعلى على الرغم من أنَّ الدهر هو المسيء، وقد جانس الشاعر بين (رزاني) التي بمعنى أصابني بمصيبة، و(رزان) التي تفيد الوقار، وذلك رغبة منه إلى لفت الانتباه إلى أنَّ الدهر الذي كان يجب أن يتحلى بالعقل والحكمة صار مصدراً للمصائب، وابنه الشاب الذي يفترض به أن يكون طائشاً صار حكيماً[2].

ويختم الحصري شكواه من الدهر حين يتوجه إلى الله داعياً عليه معلناً استسلامه ويأسه، فهو في خاتمة المطاف لم يجد سوى الله ـــــــــ سبحانه ـــــ ملجأ وملاذاً من نكبات الدهر يقول:

لَحَا اللهُ دَهراً حَالَ بَيني وَبَينَكُـــم وَحَرَّمَ وَصلَ الحُبِّ وَهوَ مُحَلَّـــلُ
لُبانَاتُ نَفسِي عِندَكُـــم وَشِفاؤُهـــا مِنَ السقمِ لَو أَنَّ السَّقيـــمِ يُعَلَّـــلُ
لَبِستُ الضَنَى حَتَّى تَبَدَّلت صورَةً سِوَى صورَتِي وَالحُبُّ لا يَتَبَـــدَّلُ
لَعَلَّ اللَيالِي وَالحَوادِث خَصمُنَـــا كَما حَكَمَت فِينَا بِجَـــورٍ سَتَعـــدلُ
لَقَد ضِقتُ ذرعاً بِالهَوَى ثُمَّ بِالنَوَى وَلا ذَنـــبَ لِـــي لكِنَّنِـــي أَتَجَمَّـــلُ [3]

(1)أبو الحسن الحصري القيرواني، 380.

(2) ينظر : شعر التعازي والقبور في الأندلس المحاور والسمات الفنية ، 175 .

(3) أبو الحسن الحصري القيرواني، 234.

إنَّ مفردة الدهر جاءت في شعر الحصري بانفعالية شديدة، وقدَّمت ايحاءً نفسيا عميقاً، وكانت تكتسب في تنوع السياقات دلالاتها الخاصة، فاللفظة تنجح في دلالتها الإيحائية في سياق معين، وتخفق في سياق آخر تبعاً للتجربة الشعرية والحالة النفسية للشاعر التي تأخذ الجانب الأكبر في تأثيرها على اختيار الألفاظ. وتنوعت دلالات الدهر عند الشاعر بإختلاف الموضوعات والمواقف الشعرية، (فالدهر قوة غيبية يقف الإنسان عاجزا أمامها، ولايستطيع أنْ يغير أحكامها، وإنْ حاول أنْ يصارعها. وهناك بعض الدلالات التي تخرج الى المجاز تنم عن ذاتية شاعر شديد الإحساس بالزمن)[1]

<u>الزمان:</u>

يعيش الحصري في صراع مع الزمان أو الزمن[2] وهو صراع نفسي، وفكري وروحي، مُعبّراً عن نفس قلقةٍ مضطربةٍ تعيش في مواجهةٍ دائمة مع الواقع ، **وكان الزمنُ – على الدوام – مصدر خوف وقلق للإنسان العربي منذ القدم، وذلك لتقلباته، وشدة وطأته، الأمر الذي جعل العربي يقف منه موقفًا سلبيًا، وفي ذلك يقول الحصري:**

حَمدتُ زماني فيه ، ثم ذممتُهُ وما زال هذا الدهرُ يُهجى ويُمدحُ [3]

وإحساس الحصري بالزمان قوي فهو يعيش معه في كلَّ لحظاته، فتراه يلهج بذكر الزمن ومفرداته في كلِّ حالاته، فها هو يذكر الزمان كونه شاهداً على نبوغ ولده يقول:

غَنِيَ الزَّمانُ به وغنَّى باسمه فزهاهُ طيبُ غنىً وطيبُ غناءُ

(1)

---

(1) الزمن في شعر ابن حمديس الصقلي، رسالة ماجستير تقدمت بها ختام محمد حسين العبودي الى كلية التربية للبنات– جامعة بغداد،2002، 33 .

(2) يقول الدكتور كريم زكي حسام الدين: (إنَّ المعجم لم يُفرق بين لفظي الزمان والزمن) ينظر: الزمان الدلالي دراسة لغوية لمفهوم الزمن وألفاظه في الثقافة العربية ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة،ط2، 2001، 120 .

(3) أبو الحسن الحصري القيرواني،217.

لقد تعامل الحصري مع الزمن تعاملاً نفسياً، فهو في صراعٍ دائم معه، وهو مستمر في توجيه اللوم إلى الزمان الذي أُصيبت فيه مكارم الأخلاق، وهو في هذا إنما يوجه نقده للمجتمع يقول:

ما أقلَّ الوفاءَ، ما أضعفَ الطَّا لبَ في ذا الزمانِ والمطلوبا

هل ترى أيُّها الشَّموتُ برزئي آمناً من زمانه أنْ يَنوبا [2]

ووجد الحصري في الزمان ضالته، فقد أرجع إليه سبب النوائب كلها التي تناوشته، وهذا استسلام للقدر من إنسان ضعيف تعصف به الحياة ، يقول في رثاء ابنه:

أودى الزمانُ بمنْ يدعون غرَّته بَدْرَ السماءِ ويمناهُ حيا الميثِ

أودى بعبد الغنيِّ ابني ولبَّثني وكيفَ إيداؤهُ بابني وتلبيثي [3]

وهو يرى أنَّ الزمان حرمه حتى من زيارة قبر ولده، وفي ذلك قسوة لا يطيقها، فهو يجد في زيارة قبر ابنه سلوىً له من آلام الفراق والنأي، ومما يعانيه ويكابده، يقول:

أغِبْ مزارهُ وأغيبُ عنهُ وأحزاني كما تغدو تروحُ

ولكنَّ الزَّمانَ عليَّ حتى بعرفِ ضريحه الشافي شحيحُ[4]

والإحساس بثقل الزمن واضح في شعره ولاسيَّما في مرحلة الشيب والكبر، حين أصبح لا يقدر على مواجهة معركة الحياة التي أنهكته في كلِّ ساعة، بل وفي كل حين، مما يدل على استمرارية المعركة مع زمنه وهي معركة نفسية، لقد كان يجد في ابنه عوناً له على فقده البصر، وعوناً له في شيبته وغربته يقول:

---

(1) م.ن ، 274 .

(2) أبو الحسن الحصري القيرواني،279.والبيت الأول جاء في الديوان: ما أقلَّ الوفاءَ، ما أضعفَ الطَّا لبَ في الزمان والمطلوبا وفيه خلل عروضي ، فالبيت من بحر الخفيف والصحيح ما أورده المحققان في الطبعة الثانية من ديوان المعشرات واقتراح القريح ، نشر الشركة التونسية للتوزيع 1974،ط2. 84 . وهذا ما أثبتناه .

(3) أبو الحسن الحصري القيرواني 290 . (0الميث : الارض السهلة م.ن)

(4) م.ن ، 301.

نجا ابني من الدُّنيا ومن غمراتها وها أنا في الغرقى فياربُّ أَنقذِ

أظنُّ زماني كان بابني يَهابُني فأوحى إلى جُليِّ رزاياه أنْ قِذِي

(1)

لقد بدأ الحُصري يشعر بثقل الزمن حين شاخ وهو في غربة ولا يوجد هناك من يعينه و(الإنسان لا يشعر بالزمان فقط من خلال ما يلاحظه من تغيرات تلحق ما حوله من جمادات وكائنات، ولكنه يشعر بالزمان أيضاً من خلال ما يشعر به من تغيرات على المستويين الجسمي في طفولته وشبابه وشيخوخته،)[2]

ويتعجب علي الحصري من إساءة الدهر لبنيه؛ لأنه يعده أباً والمفترض في الأب العطف والحنان، والشاعرُ أبٌ وهو غاية في العطف على ابنه المتوفى فيقول:

لَحا اللَهُ الزَمانَ أَبَاً أسودُ بَنيهِ أَثَخَنَها

كَأَنهُمُ عداهُ فَكَمْ أَثَارَ وَغىً وَأَكمَنَها

أَغَثُّ بَنيهِ يَأكُلُهُ فَكَيفَ يَعافُ أسمَنَها

وَأَيُّ أبَ يُديرُ عَلى بَنيهِ رَحىً ليَطحَنَها[3]

يدعو الشاعر على الزمان ويلعنه، فعلى الرغم من كونه أباً فإنه أتى على أبنائه الأقوياء فعاث فيهم قتلاً وأكثر فيهم إهلاكاً، وهذا الأب (الزمان) يعد أبناءه أعداءً له، وفي استخدام الشاعر كاف التشبيه وأنَّ التوكيدية دليل على حرصه تضمين الصور شعوراً عميقاً من عداوة هذا الأب لأبنائه، وفي استخدام الشاعر الفاء (فكم) إشارة إلى تتابع الدهر في ذلك وتعاقبه، فهو لا ينقطع عن ذلك، وتنكيره (وغى) إشارة إلى أنه يصطنع مع بنيه أي حرب لسبب أو دون سبب، ثم يتساءل الشاعر مستنكراً إذا كان هذا الأب (الدهر) يأكل الهزيل الضعيف البائس من أبنائه ويلحق به الضرر، فكيف بالسمين القوي الوجيه منهم، إنه أب لا يرحم، ويختم الحصري مستفهماً

(1) م. ن 316 .

(2) الزمان الدلالي ، 48 .

(3)ا أبو الحسن الحصري القيرواني ، 306 .

مستنكراً عن وجود (أبٍ) أي أبٍ في الدنيا وعبر القرون، يلحق الأذى والإساءة ببنيه، غير الزمن وهذه مفارقة جاء بها الشاعر ليقدِّم ايحاءً على عمق المشكلة التي يعانيها مع الزمن.

لقد شكلت مفردة الزمن محورا رئيساً في معظم رثائيات الحصري، وصارت مدخلاً للحكم والمواعظ ، حين أيقن أنَّ مكابدته الحياة لن تنتهي، ولكنها تحوّلت إلى منحىً آخر، فها هو ينكر الدنيا ويكرهها كرهاً شديداً لا رجعة عنه، يرحب بالموت واجداً فيه الخلاص من عذاباته وآلامه فلم يعد يرى في هذا الوجود إلا كارثة كبرى، وصاغ أفكاره هذه أدباً قلقاً، وألحاناً حزينةً. يقول :

ونلاحظ في الأبيات أنَّ المفردات التي استقدمها الحصري من ثقافته اللغوية المعمقة استطاعت تجاوز انحسارها بالمعنى اللفظي إلى معانٍ معَّمقة تفعل فعلها ضمن سياقها النصي، و اكتسبت طابعها الايحائي ضمن السياق الذي وضعها فيه بمهارة، فاللفظة الشعرية لم تعد تتقيد بدلالتها المعجمية، بل صارت مطاوعةً ومرنة في النص الشعري فتنتظم ضمن علاقات مجازية إيحائية يحيلها إليها السياق النفسي والتخييلي والصوري للنص، إذ يخلق الشاعر في كلِّ لفظة لغة إيحائية، وبذلك تُكَون اللغة الشعرية إنزياحاً عن معيار اللغة الطبيعية تنتج دلالالتها بطريقة مختلفة تتوخى من ورائها تحقيق أكبر قدر من الإثارة الجمالية، لقد وفق الشاعر بتعليق الدلالات اللغوية للمفردات بما يوافق الموضوع والحالة النفسية.

يختم الحصري موقفه من الزمن بالدعاء عليه، وهي صيغة معروفة في الشعر العربي، فهو حين لم يستطع أن يُحيِّدَ الزمان أو يقلل من فعله السلبي لجأ إلى أسلوب الدعاء عليه ، وهو أمر يشير إلى عجزه ويأسه . يقول:

إلى أيِّ ضَوءٍ مِن بُروق المُنَى تَعشُو وَغَيثُ الصَّوادِي سَارَ مِنكَ بِهِ نَعشُ

أَلا عَمِيَت عَينُ الزَّمانِ فَلا هُدَى وَشَلَّت يَمينُ المَجدِ مِنكَ فَلا بَطشُ

يَخيّـلُ لِـي أَنَّ الضُّحَـى بَـعـدَكَ الـدُّجَـى وَأَنَّ الـنَّـدَى الـقَـفـرُ وَالأنـــسُ الـوَحـــشُ[1]

مفردات أخر دالة على الزمن:

الزمن عند الحصري متداخل ومتشعب لأنه مرتبط بهُوية الشاعر وسيرته الذاتية، ويشير إلى صدق تجربته الشعورية التي نقلها إلى المتلقي عبر شبكة مُنوَّعة من الصور والمفردات المليئة بالانفعالات، فالحُصري أمضى حياته في معاناة حقيقية تسببت باصطباغ بعض صوره الشعرية بصبغة سوداوية حزينة بتأثير الأحداث المتتالية التي عاشها. وإحتلَّ الزمن وما يتعلق به من معانٍ ومفردات مساحة واسعة من شعر الشاعر الحصري حيث يتجسد الزمن في شعره من خلال بكائه على عمره، فهو يبكي هذا العمر ويرثيه في مواقف عدة ويؤمن بزواله واندثاره . ويظهر من خلال شعره أنه يرتبط بعلاقة تنافر وعدم توافق مع الزمن، لاسيَّما وقت النهار والصباح وما يشير إليه من مفردات فهو غير مُقتنع بفكرة بزوغ شمس نهاراً حافلة بالسعادة والأمل فالصباحات كلُّها مكررة موبوءة تبعث على الحزن . ويبلغ الحزن ذروته و تفقد الذات توازنها عندما تتداخل الأزمنة فيما بينها لتشكل زمناً واحداً تعيش الذات فيه متوحدة حزينة دون أمل.

ومن المفردات التي تواترت في شعره مفردة "الأيام" التي منحها عمقاً نفسياً إيحائياً حين تحدث عن قصرها وطولها ، يقول في رثاء ابنه:

وما هي غيرُ أيامٍ قصارٍ إذا صَعُبتْ على ذي اللُّب راضا
تمرُّ لأهلِ الدنيا وتحلى وتُحدثُ في سوادهم البياضا [2]

يجد الشاعر في تعاقب الأيام إيذاناً بانقضاء جزء من حياة الإنسان، وهذه الأيام أقوى من الإنسان، إذ لا طاقة للإنسان في مواجهتها، فهي تغير من حياتهم بشكل مستمر

(1) أبو الحسن الحصري القيرواني،428.
(2) أبو الحسن الحصري القيرواني ،393

(والتغيير سمة الوجود، والحركة سمة الزمان، والهشاشة سمة هذا الكائن في هذا الكون) [1]

والشعور بطول الأيام وقصرها مرتبط بالحالة النفسية التي تنتاب الإنسان، فنحن (نشعر بطول الزمان جدا في حالة القلق والخوف، بينما نشعر بقصره كلَّ القصر في حال الأمن والسرور)[2]

والشعور بثقل الأيام وطولها يعود إلى النكبات المتتالية التي تعرض لها الحصري، وكانت خاتمتها وفاة ولده عبدالغني الذي كان يحبه أشد الحب(والشعور بالزمن يبلغ أقصى درجة من السعة في ساعة الحبِّ، لإنَّ الشعور بالزمن هو في الوقت نفسه شعور بالفناء، ذلك لأنَّ الزمان جوهره الفناء ، فإذا كان الشعور بالزمان يبلغ أوجَّه في الحب، فمعنى هذا الشعور بالموت يبلغ أقصاه في الحب) [3]

والحزن الذي يعانيه الحصري يمتد إلى نهاية الزمن " الأبد" . وهي مفردة تشير إلى عمق معاناته واستعصائها على الحل ، يقول:

قلتُ إذ قالوا: تعزَّ أما ... للبُكا من بعدهِ أَمَدُ
مدَّ دمعي فيه بحرُ دمي ... فأبى أنْ ينفدَ الأبدُ
أَنما أبكى والغليلُ كما ... كانَ في الأحشاءِ والكَمَدُ
كلَّما رُمتُ الأسى نكأَ الـــــــــــــــــ ... قرحُ دهرٌ دأبُهُ النَّكَدُ[4]

في هذه الأبيات يتعمق إحساس الشاعر بالزمن عندما يرى أنه لا نهاية له، ونجده يلجأ إلى تكثيف الفكرة التي يطرحها مختزلةً مركزةً، فكلُّ كلمة تعبر عن حالة اليأس والإحباط التي يعانيها(دمعي، بحر دمي، أبكي ،الكمد، النكد)، ولجأ الشاعر إلى أسلوب الاسترجاع في محاولة منه لتشكيل زمنٍ نفسي خاصٍ به، فهو يستبق الأحداث

(1)قلق الموت في شعر تميم بن ابي مقبل، آن تحسين الجلبي، بحث منشور في مجلة كلية التربية الاساسية، جامعة الموصل، م12، ع2013،3، 15 .

(2) الزمان الوجودي ،عبد الرحمن بدوي،مطبوعات مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1955، 174.

(3) الموت والعبقرية ، عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، مصر، 1945، 35 .

(4) أبو الحسن الحصري القيرواني،308.

في قوله: "كلَّما" التي تدل على التكرار والديمومة حتى صار الزمن بؤرة النص التي تنطلق منها كُلُّ الصور والأخيلة ممتدةً عبر الأزمنة، إنَّ إحساسه بالزمن الماضي طغى على جميع الأزمنة، فصار الزمن الماضي مهيمناً يقوده في حاضره ومستقبله، لذا فهو لم يعد يرى في الزمن الحاضر والمستقبل إلَّا امتداداً طبيعيا للماضي بكلِّ نكباته ومآسيه، وهذه الصورة جعلت الحصري يعيش ويفكر بسوداوية وانطوائية شديدة نجد تجلياتها في شعره الذي تمتد فيه المفردات الدالة على الحزن والقنوط .

ويدرك الحصري قيمة الزمان في تشكل وعي الإنسان، لذا نجده في رثاء ابنه يركز على سنِّ ابنه الذي توفي في التاسعة من عمره، وهو يُفاجيء الناس بقدراته العلمية، وللعدد سلطانه على الزمان، فلا يتصور وجود زمان بمعزل عن العدد[1] يقول:

يابن تسعٍ يحكي ابن تسعين رأياً ونُهوضاً يفوته ووُثوبا

حُقَّ لي أنْ أَشُقَّ قلبي ثكلاً لا أُوَفيكَ إنْ شَقَقْتُ الجُيوبا[2]

إنَّ سن عبد الغني كانت لها قيمتها عن أبيه فهو قد أشرف على تنشئته وتعليمه، وكان يرى فيه أملاً يُعوض به ما فقده يقول:

يا ابن تسع كان يفهمُ ما رَفَعَ المعنى وما نصَبا

خُذْ مِن الله الأمانَ فَمَنْ خَفَّ ظهراً لمْ يَخَفْ نَصَبا

إنما يخشى العقاب غداً من غوى في شيبه وَصَبا[3]

ربط الحصري في هذه الأبيات بين زمنين : زمن ابنه الصغير الذي صار عنده عنواناً لظلمه، وزمنه هو في شيبته حين يتذكر أنَّ زمنه قد اقترب من نهايته عندها يبدأ ببث شكواه من الشيب لأنَّ الشيب (باعث للحزن والألم) [4] فهو إيذان بدبيب الضعف والعجز إلى بدن الإنسان وهو نذير بقرب نهايته، وفي الشيب يبدأ الإنسان بالحنين

(1) ينظر: الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عبد الإله الصائغ،منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة دراسات، ،بغداد ، 1982، 49 .

(2) أبو الحسن الحصري القيرواني،282.

(3) أبو الحسن الحصري القيرواني،282.

(4) الزمن في شعر ابن حمديس الصقلي، 77 .

إلى زمن الشباب، فيعيش الإنسان في الزمن الماضي محاولة منه لنسيان الحاضر والمستقبل اللذين لا يحملان أية علامة من علامات الحياة المرفهة السعيدة، ومما يزيد الشاعر انفصالاً عن حاضره إحساسه بأنَّ ماضيه كان خيراً من حاضره(فإذا لاذ بماضيه استراح من عناء مقته للحاضر، لكنَّ التعلق بالماضي يخلق أحياناً عذاباً جديداً للشاعر، بما يجعله لا يطيق عناء الذاكرة)[1] . وعندما يرى الانسان أنَّ حاضره لا يقدم له شيئا يلجأ إلى الماضي، والشاعر (إنما لجأ إلى الماضي وابتعد عن حاضره، بدافع الهروب من حياته الحاضرة ليسعد بلحظة من لحظات ماضيه، وهو بهذا يحاول أنْ يعيش دنيا غير دنياه، يخلقها لنفسه، ويتكيف معها، فهو لا يجد لنفسه سبيلاً في التكيف مع الحاضر ومع الواقع المؤلم.) [2]، صار الماضي ينتزع الشاعر من الحاضر، بوعي منه أو من دون وعي، وشكَّل مساحة واسعة في تفكيره وفي نتاجه الإبداعي، ليوحي له في كثير من الأحيان القدرة على الاستمرار في الحياة التي تحاصره من كل مكان. يعود الشاعر إلى الماضي(ولا شيء غير الماضي، كلعبة مارسها الانسان في كل زمان ومكان، ليبعد عنه وطأة الحاضر والمستقبل، ليهرب من ذاته، وليغذي النزيف الذي يجري في شراييه ويتخذ شكل ذكريات تلح عليه أنْ يموت في ظلالها، فيتخلص من واقع مُتعب ومن مستقبل يتخيله مرعبا)[3]

هكذا فقد الزمن الكوني قيمته في شعر الحصري وفقد قدرته على التأثير والحركة ودفع عجلة الحياة، لقد تلاشت "زمنية الزمن" كما تلاشت جماليته حين يكون الزمن معادلاً موضوعياً للواقع فقد صارا صورة لحياة باهتة الملامح، هذا ما عبرت عنه مشاعره الحزينة وإحباطاته وخيبة أمله من زمن لا جدوى من البقاء تحت إطاره .

وفي هذه المرحلة من حياة الحصري يكثر شعر الزهد والإعراض عن الدنيا، وهو في هذا الزهد يبالغ أحياناً في الترهيب من الاقتراب من الدنيا أو الركون إليها

(1) الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، 253 ,

(2) شكوى الغربة الزمكانية في شعر عذري بني امية،د. رافعة سعيد السراج ، سكرة علي ابراهيم ، مجلة آداب الرافدين ،ع58 ،1432هـ 2010م

(3) الزمن والشعر، 19 .

ويصف الدنيا بأبشع الصفات، فهي أم لسفلة الناس وسقطتهم(أم درز)، فلا يأتي منها إلا الإساءةُ، فقال في رثاء ابنه:

بدَّلتني الأيام بُؤسى بنُعمى يوم فارقتُهُ وذُلاً بعزِّ
أمُ دُرزٍ إلي فيهِ أسَاءَت وَمَتى قَطّ أحسَنتْ أمُّ دُرزِ[1]

ويظهر أنَّ الحزن والألم يبلغ بالحصري منتهاه فينفجر شاتماً للدنيا ذاماً لها بأوصاف شتى، فقال:

فَيا ما أخَدعَ الدُنيا وأخبثها وأفتنها
وَأقَطَعَها إذِا وصلَت مُحبيها وأخوَنَها
وَأوَأدَها لمَولودٍ تنشبُ فيه بُرثنها
أرَى شَرِسَ الحَياةِ غَداً يُفارقها ولينها
فَما لي وَالغرورُ بِها الستُ ارى تخوُّنها [2]

بدأ الحصري أبياته مخاطبا الدنيا بنداء البعيد، فهي بعيدة جداً عن قلبه، فلا يوجد من يفوقها في الخداع والخباثة والفتنة، ولا يبلغ أحد مبلغها في إبعاد المتحابين بعضهم عن بعض بعد تواصلهم، ولايفوقها أحد في الغدر والخيانة، وهي المتقدمة في قتل الأطفال تمسك بهم بمخالبها بقوة ولاتتركهم لكي تصيب أهلهم بالحزن الشديد عليهم، وبعد أنْ تهدأ ثائرة الشاعر قليلاً يقدم حكمة فقدعلم ببصيرته أنَّ الجميع راحل عن الدنيا، من عاش فيها عيشة صعبة ومتعبة، ومن عاش عيشة رغدة هنيئة، وفي تقديم الشَّرسِ على اللينِ كأنها بشرى له بأنَّ همومه ستزول برحيله عنها، ولذلك استخدم كلمة (غداً) ليشعرنا بأنَّ الفرج قريب بإذن الله بذهاب الإنسان عنه، ثم يتنبه الشاعر مباشرة (الفاء) ويسأل نفسه منكراً عليها انخداعها بالدنيا، ثم يؤكد ذلك بأسلوب إنشائي (ألستُ)أعلم يقينا كثرة غدرها بالناس، ودليل الكثرة الشدة في (تخونها)، فإذا كان هو العالم بحقيقتها[3].

(1) أبو الحسن الحصري القيرواني،336 .
(2) أبو الحسن الحصري القيرواني ،384.
(3) ينظر: شعر التعازي والقبور في الأندلس المحاور والسمات الفنية، 100-101 .

إنَّ زهد الحصري كان اضطرارا، ويعضِّد ذلك قوله هو عن الزهاد أنهم ما شكوا يوماً من الدنيا، يقول عند رثائه لابنه:

هُدى الزُّهَادِ في الدُّنيا لَهُم عَن عَيبِها فَحْصَا
فَقالوا طَيبَها خُبْثٌ وَأمّا دُرُّها فَحَصا
خَلَوا مِنها فَلا ظَمَأ شَكَوا فيها وَلا خَمَصَا[1]

لكننا نجد أشعاره مليئة بالشكوى من الدنيا وتقلباتها، والشكوى من قله حظِّه في الدنيا ، وأنه لم ينل فيها ما يستحقه .

و يخاطب الدنيا التي أتعبته بضمير الغائب لكرهه لها قائلاً:

ولو فهمتْ معنى الزمانِ بهيمةٌ لأعرضَ خوف النَّسل عن شاتنا الكبشُ
وَمن عَرَفَ الدُنيا صَحا مِن سُرورِهِ وَأمسَى كَما أمسَيتُ مِن هَمه يَنشو[2]

في البيت الأول نلاحظ أنَّ الصورة التي استدعاها الحصري للزمان، وتبيان غدره، توحي بالتفاهة والوضاعة، ونستطيع أنْ نستنتج منها ومن وغيرها أنَّ موقف الحصري السلبي من الزمان لم يكُ منطلقه فلسفياً كما هو عند المعري ـــــ مثلاً ـــــ بل كان موقفاً إنسانياً شعرياً مبدؤه ما عاناه الشاعر من نكبات وويلات لم يستطع لها صبراً وثباتاً ، فلجأ إلى لوم الزمان وتقريعه في باديء الأمر، لكنه تحول إلى استسلام وزهد لما تعترضه الدنيا من مصائبها ونكباتها، ولا يعني هذا أنَّ الحصري لم يكن متأثرا بالمعري، فهناك العديد من أشكال العلاقات التناصية بين الشاعرين، لكنْ يبقى لكلٍّ منهما توجهه الفكري في التعامل مع مسائل فلسفية مهمة كالموت، والزهد، وغير ذلك، وعليه يمكننا القول إنَّ (الأديب بما يمتلكه من خصوصية النظر إلى الأمور وتفسيرها وفق رؤية ذاتية تتخذ من النظرة الجمالية التي تمتلك خصائص البناء الفني في العمل الإبداعي يسعى إلى توظيف ما يجده صالحاً مما قد ترسخ في نفسه وذاكرته، وما يلتمس فيه من قدرات مضافة تزجي عمله

(1) أبو الحسن الحصري القيرواني،390 .
(2) م.ن ،428 .

الابداعي بروح خاصة، وتستوعب فيما تستوعبه شيئاً من محيطها وملامح تراثها وخصائص مجتمعها وآفاقه)[1].

والحصري نشأ في بيئة دينية، والدين بطبيعته يمنح الإنسان شيئاً من السكينة والطمأنينة، وقد عُرف عن الحصري أنه كان من كبار قرَّاء القرآن، واشتهرت له منظومته الرائية في علم القراءات. وهذا يزيدنا قناعة بافتراق الحصري عن المعري، فالمعري كان يعيش إشكالية مع الإيمان، لكنَّ الحصري كان ذو التزام ونشأة دينيتين بان أثرهما في شعره وأدبه.

لكنَّ الظروف المأساوية التي عاشها الحصري كانت أقوى من تدينه، فتنازعته محاور عدَّة في حياته، جعلت من شخصيته متعددة الجوانب مضطربة نفسياً، وقد أدرك كثير من الباحثين اضطرابه، حتى قال عنه ابن بسام (على أنه فيما بلغني كان ضيق العطن، مشهور اللسن، يتلفت إلى الهجاء، تلفت الظمآن إلى الماء)[2].

ومن مفردات الزمن التي جاءت في شعر الحصري مفردة "الليل" وهي من المفردات التي تؤدي وظيفتها الفنية قي سياق النص الذي تتشكل فيه ، والليل يلقى من الشعراء عناية واهتماماً (لما يثير من حركة حسيَّة داخلية وشعور بالوحدة والملل، ويمثل عالماً خاصاً من عوالم التأمل والإلهام والتفكير)[3] ففي الليل يشعر الشاعر بوحدته، وتنتابه الهواجس والظنون، ويبدأ باسترجاع الذكريات الأليمة، وكان الليل يمثل لدى كثير من الشعراء (رمزاً للمعاناة والشقاء، لأنه يستثير بوحشته وصمته وظلامه الحالك الكئيب آلامهم وأحزانهم وهمومهم إذا ما اصابهم حادث أو ألم

(1) كيف قرأ السيّاب ألف ليلة وليلة، علي حداد ،بحث منشور في مجلة الأقلام، ع8، 1986 : 64.

(2) الذخيرة في محاسن الجزيرة،170/4 .

(3) الزمن في شعر ابن حمديس الصقلي، 17 .

بهم كرب، أو فقدوا عزيزاً فتبوح ألسنتهم باصوات باكية شادية تعبر عما في نفوسهم من هموم وأحزان) [1]

وفي ذلك يقول الحصري:

جوىً تتلظى نارُهُ في جوانحي فكيف ينامُ اللَّيلَ حرَّانُ مُنْضَجُ

جَفاهُ الكرى، والطَّيفُ قد واصل البكا فحتى متى يبكي ولا يتفرَّجُ

جَرى القَدرُ الجاري عليه بفرقةٍ فليس له من داخلِ الهمِّ مَخْرجُ [2]

في هذه الأبيات يتوحد الزمن بالمعاناة، فلن يجد القاريء في هذه الأبيات سوى مفردات الألم والحيرة والضياع، صار زمن الشاعر في ليله زمنياً نفسياً قاسياً، ولم يقدر في نهاية الأمر إلا التعبير عن عجزه واستسلامه، هذا الموقف من الزمن هو (توضيح لموقفه إزاء الأشياء ومدى تفهمه لحضارة ودور الإنسان في الحياة)[3]

وأشدَّ ماعاناه الحصري في الليل الوحدة، فحين تهدأ الحياة ويستفرد بذكرياته الأليمة، يصير الليل موطناً لكل مصيبة وداهية يقول:

دَهتنا اللَّيالي بالنَّوى فتفرقتْ جآذرُ كانتْ تلتقي وأسودُ

دوائرُ ذي الدنيا تدورُ بأهلها فتنقصُ أحوالُ الفَتى وتزيدُ

دَرارِيَ سعدي للأُفول تجانَحتْ فبيضُ الليالي في عُيوني سودُ

دَفعتُ إليها في الوَداع وديعةً وقلتُ احفظيها إنني سأعودُ [4]

من الطبيعي أنْ تختلف وجهات النظر إلى الزمن عند الشعراء(ولكلِّ انسان زمنه الخاص)[5] فالليل قد يكون عند بعضهم مدعاةً للهو وللطرب وللأنس، وعند غيرهم مدعاة للهموم وللوحشة، لكنَّ الليل عند الحصري يحمل دلالة قد تكون واحدة، والزمن يكون واحداً حين يعبَّر عن عمق التجربة الوجدانية، لأنَّ ما يحكم على سرعة

(1) صورة الليل في الشعر العربي من خلال العصر العباسي، د. عامر نايف الهيتي ، بحث منشور في مجلة ,3 .

(2) أبو الحسن الحصري القيرواني،216.

(3) الزمن والشعر، جلال خياط، 5

(4) أبو الحسن الحصري القيرواني، 219 .

(5) الزمن والشعر، 6 .

الزمن وبطئه هو الشعور الداخلي الذي يصغي لقياساته الداخلية التي لا تعترف بنظم القياسات الخارجية فقد ينتاب الإنسان شعور بثقل حركة الزمن وتباطئها إذ يفرض الحاضر كثافته وكأنَّ الزمن قد توقف عن الحركة وذلك في حالة التوتر والخوف الشديدين (فالشعور بالآن لا يتم حقاً إلا في حالة القلق الهائل وهذا ما يفسر لنا لماذا نشعر بطول الزمن جداً في حالة القلق والخوف) [1] والليل يفرض على الشاعر إحساساً بقوة وبطش الزمن، فالإنسان يقف وحيداً أمام هذا الزمن في الليل و(الشعور بتوارد الهموم ليلاً وكأنها توأم له تولد بسبب العزلة التي يفرضها هذا الظرف الزماني مما يجعل الذات تنكب على نفسها تتأمل الوجود المأساوي للإنسان متنبهةً إلى ما كان وما سيكون مما يجعل الذات الشاعرة تعبر عن إحساسها بتباطؤ حركة الليل والوقوف منه موقفاً سلبياً) [2] .

ومن أشد ما يعانية الشاعر في الليل " الأرق" ويمكننا أنْ نعهدَ في مطلع موشحته الشهيرة الروح ذاتها التي تعاني من وطأة الزمن وسطوته يقول:

يا ليلُ الصبُّ متى غـده ؟ أقيامُ السَّاعةِ مَوعِدُه؟
رَقدَ السُمَّـارُ فَـأرَّقَـهُ أَسَـفٌ للبينِ يُرَدِّدُهُ
فبكاهُ النَّـجمُ ورقَّ لـه مما يرعاهُ ويَرصُدُهُ [3]

كان نداؤه لليلٍ طويلاً ممتداً ولم ينتظر الشاعر الإجابة، وبدلاً عن ذلك سارع إلى تقديم إجابته المستحيلة من خلال سؤال آخر: أقيام الساعة موعده؟ وتتالي الإستفهام يشير إلى حالة القلق والحيرة التي يعانيها الشاعر، وأرق الشاعر جاء من إحساسه السلبي تجاه الزمن. وأمام حالة العجز التي يعانيها لم يجد الشاعر إلَّا الزمن الثقيل ليكيل إليه التهم. والأرق حالة ملازمة للإنسان الرقيق الحسَّاس، حتى أنَّ الصحابة كانوا يشتكون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم الأرق، فالإنسان حين يشعر أنه يحمل مسؤولية تجاه ذاته وتجاه الآخرين تنتابه المشاعر والهواجس من عدم قدرته

(1) موقف الشعراء في عصر ما قبل الإسلام تجاه الزمن بين التحدّي والإستسلام أطروحة دكتوراه تقدم بها حسن صالح سلطان إلى مجلس كلية التربية جامعة الموصل،2005م. 106 .

(2) أبو الحسن الحصري القيرواني،73.

(3) أبو الحسن الحصري القيرواني عصره – حياته – رسائله – ديوان المتفرقات –يا ليل الصب، لمرزوقي محمد يحيى الجيلاني بن الحاج مشار، مكتبة المنار/ تونس ، 1963، 135 .

على مواجهة هذه المسؤوليات ، فيبقى القلق عنواناً لليله الذي يتحول الى تفكير دائم وأرق .

غربة الحصري واغترابه:

عانى الحصري من العمى والغربة والألم وموت الأحباب وسقوط ملوك الأندلس الَّذين آووه واحتضنوه، وانعكس ذلك في حياته، بكاء متواصلاً، وانعزالاً في أُخريات حياته، لقد بكى الحصري القيروان التي فارقها سنة 449هـ بكاء مرَّا فقال يندُبُها بقصيدةٍ طويلةٍ:

مَوتُ الكرامِ حياةٌ في مواطِنهمْ فَإن هُم اغتربُوا مَاتُوا وَمَا ماتوُا
يا أهلَ ودّيَ لاَ واللهِ ما انتكَثَتْ عنـدي عُهودٌ ولا ضاقتْ مودّاتُ
لئن بَعدتُم وحال البحرُ دونكُمُ لَـبينَ أرواحـنَا في النَّوم زَوْراتُ
ما نمتُ إلاّ لِكي ألقىَ خـيالكُمُ وأين مَنْ نازحِ الأوطـانِ نومـاتُ

أصبحتُ في غُربتي لولا مكاتِمـتـي
بكـتني الأرضُ فيـها والسماواتُ
كَأنّـنـي لـم أذُقْ
بالقـيـروانِ جـنـى
ولـم أقـلْ هَـا لأحـبـ،،ابـي وَلاَ
هَـاتـوُا

ألاَ سَـــــــــــــــــــــــــــــقـــــــــــــــــــــى اللهُ أرْضَ

الـــــــــــقيـــــــــــــــروانِ حَيَّـــــــــا كـــــــــأنَّـــه

عبـــــراتـــي المُستـــــهـــــــــــــلاتُ [1]

فصار موقفه من الحياة ظلاماً حالكاً يقول:

دهتنا الليالي بالنوى فتفرقتْ جآذر كانتْ تلتقي وأسودُ [2]

كان الحصري كثير الاعتزاز بالقيروان التي ولد وترعرع فيها، كانت أماً احتضنته وعوضته يتمه المبكر وعماه ، **فكانت هجرته الى الأندلس إضطرارية، وقد بقي يصف وجوده فيها بالغربة بالرغم من التكريم الذي حظي به في كثير من الحالات فقد قرَّبه المعتمد بن عباد وأغدق عليه، لكنَّ الغربة ظلت تردد صداها في شعره كلَّما حلَّت نكبةٌ، أو وقعَتْ واقعةٌ يَشْعر فيها الشَّاعر بالوحشة ، فيعزف على أوتار شِعرِه مُصوِّرًا حاله أو حال أمَّتِه إبَّان نَكْبة من النَّكبات، أو مُلِمَّة من الملمَّات.**

وقد تجلى إحساس الشاعر بسلبية الزمن من خلال إحساسه بالغربة المستمرة ، يقول:

رَماني الزَمانُ إلى غُربَةٍ أعُاشِر فُيها العِدى الغُيظا[3]

وتتحول الغربة المكانية الى اغتراب نفسي حين يكون الشاعر عاجزاً عن تحقيق التواصل مع بيئته الجديدة ، وحين تتناوشه المصائب والنكبات في غربته ، فيشعر شعوراً مضاعفاً بالالم الذي يتحول الى الاغتراب النفسي.

لقد بدأ الحصري يشعر بثقل الزمان عليه وهو يعاني الغربة والوحدة ، يقول:

أنا كالأوْرَق أشتكي فَقْدَ إلفٍ وأفْرُخِ

أنا كالزَّرعِ والعدا كالجَّرادِ المُصَوَّخِ [4]

أنا أبكي بنُضَّحٍ وسأبكي بنُضَّخِ

عِظَةُ الدَّهر والرَّدى أسْمعتْ كلَّ أصلخ [1]

---

(1) أبو الحسن الحصري القيرواني 125.

(2) أبو الحسن الحصري القيرواني،219.

(3) أبو الحسن الحصري القيرواني،346.

(4) المصوَّخ: النازل في الأرض باذنابه لردم بيضه ، أبو الحسن الحصري القيرواني،306.

في هذه الأبيات ترتفع "أنوية" الحصري حيث كرر لفظة "أنا" في مطلع الأبيات الثلاثة، وما كان ذلك إلا لتبيان مقدار معاناته التي حاول تقريبها إلى المتلقي عبر استدعاء صورٍ طبيعية، وهذه الصور المتعاقبة هي مما ورثه الحصري من التراث الشعري العربي، ومما اكتسبته ذائقته الشعرية في إقامته بالأندلس، ومعروف مدى ولع الأندلسيين بوصف الطبيعة. ولمسألة الشيب والشيخوخة أثر كبير في نفسيته، فهما يدلان على تقدم الزمن والضعف والعجز ودنو الموت. فيشعر الفرد إزاءهما بانفصال نفسي عن الآخرين وهذا بطبيعة الحال يولد اغتراباً نفسياً عن ذاته وعن مجتمعه. إنَّ الزمن ذو طبيعة متحركة، غير ثابتة على حال، بل دافعة جارفة ، وهذه الطبيعة المتحركة هي التي جعلته يتحد بالوجود ثم العدم، بالحضور ثم الفناء، والزمان **هو الذي ينبيء الإنسان بموته وزواله وعبثية كل وجوده، كما يبشر بالجديد الوافد** الميلاد الذي سوف يحدث والجديد الذي سوف يطرأ، كما إنَّ الموت سوف يحدث والطارئ سوف يبلى ، إنَّ الزمان هو الذي يحمل أمل الإنسان ويأسه، مجده **وتفاهة** شأنه، إنه الكيان الموجود الفاني)[2].

المـوت:

لم يُذكر الموت في شعر شاعر عربي بهذه الكثرة التي نجدها في شعر الحصري، فالموت كان حاضراً بقوة في شعره، فالإحساس بالموت والتعامل معه كان نتيجة للأزمات العميقة التي عاشها في حياته فوجد في الموت نهاية مريحة تخلصه من توالي الإحباطات والانكسارات الحياتية، فالموت يعني نهاية للزمن بتجلياته الإيجابية والسلبية كلها، كان يرى في الموت خلاصه وما أشبه هذه الفكرة التي وردت كثيرا في شعر الحصري بقول المتنبي في إحدى كافورياته:

---

(1) أبو الحسن الحصري القيرواني ، 306 .

(2) الزمان الوجودي، 20 .

كفى بك داءً أنْ ترى الموت شافيا وَحَسْبُ المَنايا أنْ يَكُنَّ أَمَانيا [1]

ويقول المتنبي أيضاً:

وَمَا المَوتُ الاَّ سَارِقَ دَفَ شَخصِه يَصُولُ بلا كَفٍّ وَيَسعَى بلا رِجلِ[2]

إنَ حضور المتنبي في الشعر الأندلسي كان نتيجة من نتائج التواصل بين أرجاء الدولة الإسلامية لذا لن نستغرب هذا الحضور القوي للموت في الشعر الأندلسي(إذ وقفوا منه وقفة الخائف المهيب فكثر ذكره في شعرهم ، فلا يمكن لنا أنْ نعثر على شاعر أندلسي يخلو شعره من ذكر الموت وما يؤول إليه) [3] و كراهة الموت والخوف منه شعور إنساني عام يشترك فيه البشر أجمعهم .

لم يخشَ الحصري قدوم الموت بل كان في انتظاره، وممّا لاسبيل إلى إنكاره كون الحصري مبدعاً في رثائياته التي ذكر فيها الموت جميعها، وذلك نابع من مصدر الحزن الحقيقي الذي كان يشعر به، فضلاً عن العلاقة الوطيدة التي كانت تربطه مع الراحلين بوصفهم ممدوحيه السابقين، أو مِمَّن تربطهم صلة قرابة مع أولئك الممدوحين.

كما أفاد الشاعر من ألفاظ الموت في صياغة حكم مفيدة، عبَّر من خلالها عن حتمية الموت، وأنّه أمر لا مفرّ منه، فلا بدَّ أنْ يتجرّعه الجميع، سواء أكان برضاهم أم على الرغم منهم، فهو يرى أنّ البشر نازلون في منازل لايزال غراب البين ينعق فيها، ناذراً بالفرقة بوساطة الموت، فالملوك الذين ضاق الفضاء بجيوشهم سابقاً، أصبح مصيرهم النوم في القبور الضّيقة، حتّى أصبحوا لايجيبون مَنْ يناديهم ، لتوهمهم أنّ الكلام محرّم عليهم، لذا فإنَّ الموت آتٍ للجميع ، فعليهم ألَّا يغترّوا بما جمعوه من الدنيا؛ لأنه لا يدفع الموت عنهم.

---

(1) شرح ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوق، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1407هـ، 1986م، 417/4 .

(2) م.ن،175/3 .

(3) الموت في شعر ابن خفاجة الاندلسي، 4 .

إنَّ تعبير الشعراء عن ضعف الإنسان أمام الموت يدل من جانب آخر على قوة الموت، فهو يصل إلى من قُدر عليه في أي مكان كان وفي أي زمان عاش، يقول الحصري:

هوَ الموتُ لابُدَّ من سهمه فكيفَ ادَّرعنا لكي يُدلظا
وكيفَ جَرَرْنا طوالَ القنا على كلِّ طرفٍ سليم الشَّظى
وأنَّ المنايا لَيُدركنَ من ونى في الطريق ومن أركظا
قضاءق من الله لا عاكظٌ إذا جاء يأمنُ أنْ يُعكَظا
يُتاحُ لمن حظيَ الحتفُ منهُ وليس بنافعه إنْ حَظَا
فيُصرعُ ضرباً وإنْ لم يجلُ ويصرعث صرباً وإنْ ألمظا
أيا شامِتاًبِورودِ الرَّدى سيُوردُكَ الحوضُ من أبهظا
أنا بهظتني صروفُ الرَّدى فكيفَ أمانُكَ أنْ تُبهظا[1]

والأبيات تعبر عن شحنة شعورية حزينة مستسلمة أمام قدر الله، فالشاعر يدرك بأنه سيموت فاستخدم مجموعة من الاستعارات في إيضاح مراده وأنه سائر على درب آبائه الذين سبقوه موتاً وفناء، بل والناس تبع له في ذلك. والأبيات مزدحمة بالصور المتقابلة، وذلك محاولة من الشاعر إلى كشف حال الموت، وأنه يصيب الجميع ولا يستثني أحدا، وفيه طرافة أن الموت يجمع بين المتضادات.

ويبدو الشاعر متدرجاً في حديثه عن الموت، فهو لا يريد أنْ يصدم المتلقي، فبدأ مستفهماً ليلتفت إليه، ثم قدَّم حقيقة عنه بتفريقه الناس، ثم قدَّم عن الموت صورةً مفزعة فالموت يأخذ الأرواح جهاراً لا خفاء، وبقوة وغلظة لا لين وسهولة، فيقابل الناس بمرض يعجزون عن علاجه، والموت لا علاج له. (إن وفاة الصغير أكثر إيلاماً في النفس من وفاة الكبير، فالكبير قد ذاق متع الدنيا وأنس به أهله ومحبوه، أما الصغير فعلى عكس ذلك، كما أن الصغير معقد آمال ذويه وأحلامهم. وما الحزن على

(1) أبو الحسن الحصري القيروانين345– 346. رُعِظَ: كُسر او حُرِكَ لِيُكسَرَ، أجعظا: ارتعش، الدظُ: الدفعُ في الصَّدر، أركظا: منى الركض، العكظُك القهرُ، حظاك مشى رويداً ن الصَرَبُ: القطع أو الاحتقان، ألمظ: مُلأقلبه غيظاً، أبهض: من أبهض الحوض إذا ملأه، (م.ن، 345–346)

وفاة الصغير إلا لأن الإنسان آماله طويلة وهكذا فقد اتخذ شعراء الأندلس الحديث عن موضوعات معينة تتعلق بالموت والآخرة أسلوباً من أساليب إدخال السلوان والتعزية على ذوي الميت،) [1]

والموت على الرغم من كونه ظاهرة متكررة ألفها الإنسان، إذ أنه من البديهيات لدى العقل الواعي والتفكير المنطقي فهو اللغز الأكثر حيرةً، إذ تزداد مأساته عمقاً، كلما شارف الإنسان على أبواب شيخوخته يقول الحصري في:

كَتَبَ اللَهُ عَلى الخَلق الرَدى فَاِستَوى فيهِ مُلوكٌ وَسوقْ [2]

فالشاعر يتعزى بأنَّ الموت يصيب الجميع الحاكم والمحكوم، الأمير والمأمور، الغني والفقير، وجميع الناس مهما تباينت مناصبهم .

خاتمة:

برز الزمن في شعر الحصري القيرواني ليُعبرَ عن عمق المأساة التي عاشها، فقد واجه صدمات الحياة العنيفة باستسلام وقبول، والزمن كان في كثير من جوانب حياة الحصري سلبياً، فلم يرَ الحصري منه إلا توالي النكبات، فقد عانى العمى والغربة وفقد الأحبة وعاصر سقوط القيروان وسقوط المدن الأندلسية ونكبة ملوكها، كلُّ هذا عبَّر عنه بقصائد تُعبر عن روح متناقضة في مواجهتها للزمن فنجده تارة يائساً ذليلاً ، وتارةً أُخرى يُعلن مواجهته وتحديه،وبرزت صورة الزمن سلبيةً في كثير من أشعار الحصري القيرواني، وتبدَّت مظاهر السلبية عبر مفردات لها حضور سلبي في سياقها كالدهر، والزمن، والأبد ، واليوم، كما ظهرت ملامح التواصل الفني بين تجربة الحصري وتجارب الشعراء المشارقة كأبي العلاء المعري والمتنبي، وعاش الحصري حالةً اغترابية عميقة فتعالقت تجربة الغربة المكانية التي عاناها منذ سقوط القيروان وهجرته إلى الأندلس مع حالة الاغتراب النفسي العميق الذي

(1) شعر التعازي والقبور في الاندلس، 157 .

(2) أبو الحسن الحصري القيرواني،415.

عاشه، وظهرت المرجعيات الدينية حاضرةً ومؤثرةً في شعره كما في موقفه من الموت حين أعلن ترحيبه بقدومه واستقباله بالرضا والقبول.

The Time for Abdel al- Hasan Ali Alhusari Al - Qairawane Poetry (488H)

Bashar Nadim Ahmed*

Abstract

The time means in this study is a psychologic time.It doesn,t submit to the exterior standerds . The negative view towerd tge time form is in the feeling over overwhel a humanby his incompleteness in the life .ther is astrong relevant between psychological state and time.this time it well be long and hard when the human feel sadness.

AL-qairawani lived a hard life.He was suffering from blind,exite,and children loss . the difinded a full diwan to elegic his son. Linguistic and artisty forms were diversed which AL-qairawany express about the time and many of these forms, came in his poetry from a greet heritage . time vocabularies and there derivations were form amain center of the most poetry, and these vocabularies were pass life semantic rang too inspiration and interpretation rang .

Key words : Death؛ alienation؛ poetic

References:

- 'Abi Bakr Yahyaa Bin Muhamad , Rawdat AlMahasin Waeumdat AlMuhasn ,Ealam AlKutub AlHadith Lilnashr Waltawzie , Eamaan , al'urduni 2008, 138 .

* **Lect. / Technical College / Mosul**

- 'Abu AlHasan AlHasriu AlQayrawani, AlMswwakh: AlNaazil Fi Al'Ard Biadhnabih Liradm baydih 550,2006.
- 'Abu Eabd AlLah Muhamad AlQurtabiu, AlJamie Li'ahkam AlQuran Tafsir alqurtibi, 2000, 650.
- 'Abu Hilal AlHasan Bin Eabd AlLah AlEaskarii ,AlFuruq Fi AlLughati, birut, 1973, 263-264 .
- AlMurtadaa AlZubaydi, Taj AlEarus Min Jawahir AlQamus , dar alfikr liltibaeat walnashr waltawziei, birut,2010, 8000.
- 'Anwar Yaequb Zaman, Shaer AlTaeazi Walqubur Fi Al'Andalus AlMuhawir Walsimat AlFaniyata, AlMamlakat alearabiat alsueudiat , 1432hi, 164 .
- Eabd Al'Iilah AlSaayigh , AlZaman Eind AlShueara' AlEarab Qabl Al'Iislam ,Manshurat Wizarat AlThaqafat Wal'iielami, Silsilat dirasati, ,baghdad , 1982, 49 .
- Eabd AlRahman AlBarquqi ,Shrah Diwan AlMutanabiy , dar alkitaab alearbi,birut lubnan1979 , 640 .
- Eabd AlRahman Badawi ,AlMawt Waleabqariat , Maktabat AlNahdat AlMisriat , alqahiratu, 1945, 35 .
- Eabd AlRahman Badawi ,AlMawt Waleabqariat , Maktabat AlNahdat AlMisriati, alqahirat , masr, 1945, 360.
- Eabd AlRahman Badawi ,AlZaman AlWujudiu ,Matibueat Maktabat AlNahdat almisriati, 1955, 174.
- Ghastun Bilashar ,Jadaliat AlZaman, AlMuasasat AlJamieiat Lildirasat Walnashr waltawzie, bayrut, , 1992 150.
- Hnan 'Ahmad AlJumla, AlMawt Fi AlShier AlEabasi(232h *450h), Nabulus , Filastin , Kuliyat AlDirasat aleulya ,2003m, 21 .

- Jalal Khayaat ,AlZaman Walshier , Manshurat Wizarat AlAeilam AlEiraqiat , Silsilat alkutub alhadithat 88 , 1975, 9 .

- Karim Zaki Husam AlDiyn, AlZaman AlDalaliu Dirasat Lughawiat Limafhum AlZaman Wa'alfazih Fi AlThaqafat AlEarabiat , dar gharib liltibaeat walnashr waltawzie , alqahirati, 2001, 120 .

- Khitam Muhamad Husayn AlEabuwdii ,AlZaman Fi Shier Aibn Hamdis AlSaqli, Jamieat baghdad,2002, 33 .

- Mahmud Yusif Eabd AlQadir Eawad ,'Asma' AlZaman Fi AlQuran AlKarim (dirasat dalaliatin) ,nabuls, filastin.2009, 13 .

- Muhamad Eabd AlKarim AlHumaydii ,AlSiyaq Wal'ansaq (AlSiyaqi? Maalnasqi) , dar alnafayisi, bayrut, lubnan,1434h , 2013m ,25 .